المبحث الأول

وقفة مع التعريب

أحدث ظهور بعض الألفاظ الأعجمية في اللغة العربية ثورة دعت علماء اللغة -قديمًا وحديثًا- إلىٰ ضرورة التأصيل لهذه القضية، وخاصة بعد استعمال العرب الفصحاء لها، وإقرارهم بوجودها وإثبات حقيقتها في عالم العربية، فأصبحت هذه الألفاظ من العربية بمكان، أو قل هي والعربية سواء.

ولكن قبل الدرس والتحليل كان لابد من وقفة مع التعريب نحاول من خلالها أن نجلي بعض الحقائق حتىٰ تكتمل العبارة وتتضح الصورة، وتتحقق الثمرة المرجوة من الدراسة التحليلية.

1- مصطلح التعريب

ذكر الأزهري أن الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة. يقال أعرب عنه لسانُه وعَرَّب: أي أبان وأفصح[1].

وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوّه به العرب علىٰ منهاجها، تقول: عَرَّبته العرب وأعربته أيضًا[2].

أو بمعنىٰ آخر: هو حمل الاسم الأعجمي علىٰ نظائره من الأوزان العربية[3]، أو صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلىٰ اللغة العربية[4].

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري. تحقيق. محمد عوض مرعب (ع ر ب) 2/ 219 - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولىٰ 2001م.

(2) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق. أحمد عبد الغفور عطار 1/ 179 - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة 1404هـ-1984م.

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف. أحمد بن محمد الفيومي 2/ 472 - المكتبة العامة - بيروت.

(4) المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية 2/ 591 - دار الدعوة.

وفي هذا إشارة إلىٰ ضرورة تغيير اللفظ الأعجمي حتىٰ يلحق بنظيره العربي ويتواءم معه فيصبحا في الاستعمال سواء، ألحق بالبناء العربي أم لا كما ذكر ذلك سيبويه في (باب ما أعرب من الألفاظ الأعجمية)، حيث يقول: «اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه بناء كلامهم، وربما لم يلحقوه»[1].

فما غيَّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته باعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو: درهم وبهرج، وما غيَّرته العرب ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله، نحو: آجر . . .[2].

إذًا فالتعريب هو «إقامة اللفظ الأجنبي علىٰ وزن عربي، بوساطة النقص، أو الزيادة، أو القلب»[3].

ومن هنا فالتغيير شرط من شروط التعريب، والتغيير كما ذكر الجواليقي: «يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن»[4].

ولكن التعريفات السابقة تحمل طابع الإطلاق دون التقيد بحدود الزمن، وهذا ما ظهر أيضًا في بعض المُصَنَّفات الخاصة بالتعريب، حيث ذكر عنه

(1) كتاب سيبويه. تحقيق. عبد السلام محمد هارون 4/ 303، 304 - دار الجيل - بيروت- الطبعة الأولىٰ.

(2) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي. تحقيق. فؤاد علي منصور 1/ 211 - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولىٰ 1418هـ-1998م.

(3) العربية لغة العلوم والتقنية. د. عبد الصبور شاهين ص309 - دار الاعتصام - القاهرة 1406هـ-1986م.

(4) المعرب من الكلام الأعجمي علىٰ حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي. تحقيق د. ف. عبد الرحيم - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولىٰ 1410هـ-1990م. وقد اعتمدت علىٰ هذا التحقيق أثناء الدراسة مع بعض الإشارات في بعض المواضع إلىٰ تحقيق الشيخ. أحمد محمد شاكر.

الخفاجي بأنه: نقل اللفظ من العجمية إلىٰ العربية[1].

ولكن غالب أهل اللغة علىٰ أن عامل الزمن من أهم حدود وقيود استعمال المُعَرَّبات، حيث ذكر الجواليقي عن المُعَرَّب بأنه «ما تكلَّمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين- وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح»[2].

وأيَّد ذلك غالب أهل اللغة المحدثين، حيث ذكر الدكتور/ علي عبد الواحد وافي أن المُعَرَّب: هو ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية واستعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم ...

وقد اصطلح المحدثون من الباحثين علىٰ أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلىٰ أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلىٰ نهاية القرن الثاني الهجري. ويسمون هذه العصور «بعصور الاحتجاج»[3].

وهو يحمل نفس الدلالة التي ذكرها الدكتور/ رمضان عبد التواب بقوله: إن الكلمات المُعَرَّبة: ما أخذته العربية من اللغات المجاورة في عصور الاحتجاج[4].

إذًا فالتغيير وعامل الزمن شرطان لاستعمال المُعَرَّبات والاعتداد بها بين فصحاء العربية.

---

(1) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي. تعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي ص24 - المكتبة الأزهرية للتراث - الطبعة الأولىٰ.
وينظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل للمحبي. تحقيق د. عثمان محمود الصِّيني 1/ 105 - مكتبة التوبة - الرياض - الطبعة الأولىٰ 1415هـ-1994م.

(2) المعرب ص91.

(3) فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص193 بتصرف يسير - دار نهضة مصر - الطبعة السادسة.

(4) فصول في فقه اللغة العربية د. رمضان عبد التواب ص366 بتصرف يسير - مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثانية 1404هـ-1983م.
وينظر: مدخل إلىٰ فقه اللغة العربية د. أحمد محمد قدور ص229 - دار الفكر - دمشق.

ومن هنا ومع التقاط الخيط من هذه التعريفات يمكن أن نقول بأن التعريب: هو استعمال العرب الفصحاء للفظ الأعجمي وتغييره بما يتوافق مع النهج العربي سواء ألحق بالأبنية العربية أم لا[1].

2- ضوابط المُعَرَّب

بعد أن أصبح اللفظ المُعَرَّب والعربي سواء في الاستعمال كان لابد من وضع عدة ضوابط وعلامات تكون سمة من سمات اللفظ المُعَرَّب حتىٰ يعرف الأصيل ويتميز عن الأعجمي المصبوغ بصبغة عربية.

وعلىٰ وجه الإجمال فمن هذه الضوابط ما يكون راجعًا إلىٰ السماع عن فصحاء العرب في عصور الاحتجاج علىٰ رأي غالب أهل اللغة، وقد يأتي من خلال التقاء بعض الحروف التي لا يمكن التقاؤها في كلمة عربية أصيلة، وقد يكون خارجًا عن أوزان العربية، أو فقدان الاشتقاق منه، أو كثرة اللغات، أو خلو الكلمات الرباعية والخماسية من حروف الذّلاقة.

والتفصيل بعد الإجمال يأتي علىٰ النحو الآتي:

الأول: النقل عن أحد أئمة العربية

يتحقق هذا الضابط من خلال أقوال علماء العربية الذين يستشهد بهم في عصور الاحتجاج، والذين تدفَّقت ألسنتهم بلغات أخرىٰ غير العربية، فإذا نقل عنهم أن لفظًا ما مُعَرَّبًا توثَّق روايتهم كمصدر أصيل من مصادر الاستشهاد.

---

(1) من النادر في استخدام مصطلح (التعريب): نقل اللفظ من العجمية إلىٰ العربية دون تغيير «لأنه إذا لم يتعرض اللفظ الأعجمي لتغيير ما اعتبر دخيلاً؛ لأن الدخيل هو اللفظ الأجنبي الذي دخل إلىٰ العربية دون تغيير، كالأكسجين والتلفون» العربية د. عبد الصبور شاهين ص309.
وينظر: المولد في العربية د. حلمي خليل ص202 - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية 1405هـ-1985م، وعوامل التطور اللغوي د. أحمد عبد الرحمن حماد ص85 - دار الأندلس - بيروت - لبنان - الطبعة الأولىٰ 1403هـ-1983م.

الثاني: عدم ائتلاف الحروف

إذا كانت العربية مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفًا فإن بعض حروفها لم يلتق مع بعضها الآخر إلا من خلال اللفظ المُعَرَّب، وذلك كالتقاء الباء مع السين والتاء في كلمة واحدة نحو بستان، والجيم مع التاء نحو الجبت[1]، والجيم مع القاف نحو المنجنيق، والسين مع الذال نحو «ساذج»، والطاء مع الجيم نحو «طاجن»، والطاء مع التاء نحو الطست، سواء تحقق في هذا الالتقاء تباعد بين المخارج أم تقارب بينها.

الثالث: الخروج عن أوزان العربية

لكل لغة أوزان خاصة بها، وللعربية أوزان معروفة في مصادرها، فإذا رأيت ما يخالفها فاحكم عليه بأنه من المُعَرَّبات. ومنها علىٰ سبيل المثال: افْعَيلِل -بكسر اللام- نحو ابْرَيسِم، وفاعيل نحو آمين، وفاعُل نحو آجُر، وفُعالل نحو سرادق، وفَعْلِل نحو نَرْجِس، وفَعْلِين أو فَعْلِيل نحو سَرْجين، وفُعالان نحو خراسان، وفَعاويل نحو سراويل.

الرابع: نفي الاشتقاق

ليس للمُعَرَّب نصيب من الاشتقاق، أما في لغته الأصلية فله أصل يشتق منه، وكلمات أخرىٰ اشتقت من الأصل نفسه، فالحُبّ بمعنىٰ الإناء لا علاقة له بالحُبَ بمعنىٰ المودة وإن اتفقا في الحروف والحركات. فلا يمكن اشتقاق الأول من الثاني. أما في الفارسية فهو خُنْب.

ولكن ما دام اللفظ المُعَرَّب قد عومل معاملة الأصيل منها فلماذا لم تجر عليه الأحكام العربية من اشتقاق وغيره كما فعل ذلك بعض أهل اللغة.

---

(1) **الجبت**: كل ما عبد من دون الله، والجبت: السحر، وقيل الساحر، وقيل الكاهن. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده. تحقيق. عبد الحميد هنداوي (ج ب ت) 7/ 357 - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولىٰ 2000م.

الخامس: كثرة اللغات

ومن ذلك قالوا: أُرْبان وأُرْبون وعُربان وعُرْبون وعَرَبون.

ويرجع هذا الاختلاف إلىٰ أن كل من قام بالتعريب سلك مسلكًا معينًا في تغيير الحروف غير العربية التي تتكون منها الكلمة الأعجمية، وكذلك اختلفت أساليبهم في إخضاعها للأبنية العربية.

السادس: خلو الكلمات الرباعية والخماسية من حروف الذّلاقة

إذا خلت هذه الكلمات التي تندرج تحت هذا التصنيف من حروف الذّلاقة وهي الراء والنون واللام من حروف طرف اللسان، والفاء والباء من حروف الشفتين إلا عسجد للذَّهب لشبه السين في الصفير بالنون والغنة فهي كلمة غير عربية نحو: القسطاس فهو أعجمي لخلوه من حروف الذّلاقة مع كونه رباعيًّا[1].

ولكن ما نريد التأكيد عليه هو أن هذه الضوابط ليست ثابتة لازمة بل تأتي علىٰ سبيل الغالب تقريبًا، حيث «يرىٰ المحدثون من علماء اللغة أن تحديد المستعار -غير الأعلام- أمر جد عسير لعدم وضوح تاريخ اللغات، ومعرفة الأقدم منها، والآخذة والمعطية علىٰ وجه اليقين. فالوقوف علىٰ أقدم لغة إنسانية لم يتوصل إليه البحث العلمي حتىٰ الآن، كما أن محاولة معرفة الآخذة، والمعطية، يفتقد الأدلة العلمية الكافية؛ لأن تحديد أسبقية لغة علىٰ أخرىٰ غير معلوم بطريقة مؤكدة، والتبادل يحدث بين اللغات، وما يثبت به اليوم يمكن أن ينتفي غدًا»[2].

3- الفارسية وعلاقتها بالعربية

تُعَدُّ الفارسية ثانية اللغات الإسلامية بعد اللغة العربية، وهي واحدة من

(1) ينظر هذه الضوابط في: المُعَرَّب ص20: 29، 100، والمزهر 1/ 213، وشفاء الغليل ص29: 30، وقصد السبيل 1/ 112: 118، والتقريب لأصول التعريب. طاهر الجزائري ص72: 74 - المطبعة السلفية، وفصول في فقه العربية ص363، 364، والعربية خصائصها وسماتها د. عبد الغفار حامد هلال ص 483 - الطبعة الرابعة 1415هـ-1995م.

(2) العربية خصائصها وسماتها ص384.

مجموعة اللغات الإيرانية التي تفرعت من مجموعة اللغات الهندو أوربية، وتعتبر اللغة الفارسية الحديثة تطورًا للفارسية الوسطىٰ «البهلوية»، وقد استفادت من كل اللغات الإيرانية القديمة والوسيطة[1].

وإذا كانت اللغة العربية قد استعارت من كثير من اللغات إلا أنَّ اللغة الفارسية تُمثل أعلىٰ النسب والأرقام قياسًا باللغات الأخرىٰ، حتىٰ قيل إن مجموع الألفاظ التي استعارتها العربية من الفارسية ثمانمائة وأربع وخمسين لفظة (854)[2].

وكذلك للعربية أبلغ التأثير في الفارسية أيضًا «فاللغة العربية هي أوسع اللغات نفوذًا في اللغة الفارسية، ويصل بعض الباحثين بنسبة الألفاظ العربية الدخيلة في اللغة الفارسية إلىٰ 60%، بينما تقف أقل التقديرات إلىٰ 40%، وقد فشلت حركة إخراج الألفاظ العربية من الفارسية لشدة تأثيرها، بل واشتقت بعض ألفاظ الحضارة من العربية ...»[3].

وربما يرجع تأثير الفارسية في العربية، وتأثير العربية فيها إلىٰ أنه «لما كانت جزيرة العرب متصلة بالعراق، منذ أقدم الأزمنة في التاريخ، دخل كثير من كلام العرب في كلام أهل فارس، كما أنَّ كلامًا كثيرًا من لغة الفرس دخل في لسان العرب. وقد يصعب في بعض الأحيان نسبة الكلمة إلىٰ اللغة التي ترجع إليها من عربية أو عجمية»[4].

---

(1) المعجم الفارسي الكبير. د. إبراهيم الدسوقي شتا - مقدمة الكتاب - مكتبة مدبولي - القاهرة - 1370هـ-1992م.

(2) ينظر: غرائب اللغة العربية. رفائيل نخلة اليَسُوعي ص286 - الطبعة الكاثوليكية - بيروت - الطبعة الثانية.

(3) المعجم الفارسي الكبير. مقدمة الكتاب.

(4) غرائب اللغة العربية ص62.

وينظر: التعريب في القديم والحديث د. محمد حسن عبد العزيز ص 19: 24 - دار الفكر العربي - 1411هـ-1990م.

وأما تأثُّر العربية بالفارسية فقد يرجع إلىٰ أن الفارسية «انتشرت انتشارًا واسعًا من أقصىٰ حدود الهند إلىٰ آسيا الصغرىٰ، ومن التركستان إلىٰ المحيط الهندي، وهي حاليًا لغة إيران وتاجيكستان الرسمية واللغة الثانية في أفغانستان، ولا تعدم مهتمين في الهند وباكستان وجمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية. وقد ساهمت إسهامات واسعة في كافة ميادين الحضارة الإسلامية، وكتبت بها عصور كاملة من التاريخ الإسلامي وأنتجت أدبًا راقيًا عظيمًا عرفه العالم العربي منذ أكثر من قرن ...»[1].

هذا بالإضافة إلىٰ أن الاتصال العسكري بين البلاد العربية وإيران منذ أقدم الأزمان، وكذلك الإمبراطورية الفارسية قد شادت بنيانًا ضخمًا من الحضارة عمره مئات ومئات من السنين، وكذلك الاتصال بين بعض خطباء وشعراء ورؤساء القبائل في الجاهلية فكانوا يترددون علىٰ بلاط الحيرة، وكانت الفارسية وتقاليد الفرس منتشرة فيها فأخذوا من ألفاظها وعاداتها[2].

فمن هنا كان للعامل العسكري والسياسي وكذلك الحضاري والاجتماعي الأثر العميق في تأثير الفارسية في العربية.

وقد ذكر صاحب كتاب «التقريب» أن «عناية المتقدمين بما عُرِّب من الفارسية أكثر من عنايتهم بما عُرِّب من غيرها -وذلك لثلاثة أسباب-

- أحدها: كثرة ما عُرِّب منها وقلة ما عُرِّب من غيرها.
- الثاني منها: كون الفارسية منتشرة بينهم يعرفها كثير منهم -بخلاف غيرها-.
- الثالث منها: كون الفارسية يمكن أن تكتب بالحروف العربية مع عدم

(1) المعجم الفارسي الكبير - مقدمة الكتاب.

(2) ينظر ذلك بالتفصيل في: المُفَصَّل في الألفاظ الفارسية المُعَرَّبة. صلاح الدين المنجد ص14: 22 - الطبعة الأولىٰ 1398هـ-1978م، وألفاظ فارسية ومُعَرَّبة ودخيلة في شعر الأعشىٰ. د. حسين عبد الباسط حسن سعيد ص14: 21 - مؤسسة الثقافة الجامعية - الأسكندرية - مطبعة التوني 1989م.

الإخلال بلفظها في موضع ما بخلاف غيرها من اللغات فإنه لا يمكن كتابتها بالحروف العربية إلا مع الإخلال بلفظها في بعض المواضع»[1].

4- الحروف بين العربية والفارسية

التقت العربية والفارسية في كثير من حروفهما، ولم يكن وجه الاختلاف بينهما إلا في أحرف يسيرة، مما كان لذلك أثره في لغة التبادل والاستعارة فيما بينهما.

وإذا كانت الحروف في اللغة العربية عبارة عن ثمانية وعشرين حرفًا فإن الحروف في اللغة الفارسية عبارة عن أربعة وعشرين حرفًا، وبالمقارنة بينهما تجد أنَّ: منها ما هو خاصٌّ بالفارسية وهو عبارة عن أربعة أحرف وهي: الباء والجيم والزاي والكاف الفارسيات، وزاد بعض العلماء حرفًا خامسًا وهو الفاء الفارسية، ومنها ما هو خاصٌّ بالعربية وهو ثمانية أحرف وهي: الثاء والحاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف، فإذا وجد في كلمة حرف من هذه الحروف الثمانية فاحكم بأنها ليست بفارسية وإنما هي عربية، والعشرون حرفًا الباقية مشتركة بينهما، ويأتي معها احتمال كون اللفظ عربيًّا أو فارسيًّا[2].

وقد انحصر الإبدال بين العربية والفارسية في نوعين، ولكل منهما حروفه.

الأول: الإبدال المطرد

يأتي الإبدال المطرد في كل حرف ليس من حروفهم ويبدلون منه ما قرب من حروفه الأعجمية، وربما ما بعد منه، حيث يقول الجواليقي في (باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي): «اعلم أنهم كثيرًا ما يجترئون علىٰ تغيير الأسماء الأعجمية التي استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلىٰ أقربها

(1) التقريب لأصول التعريب ص57.

(2) ينظر: السابق ص8: 10.

مخرجًا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجًا أيضًا. والإبدال لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من حروفهم»[1].

وقد حصر بعض العلماء هذا النوع من الإبدال في خمسة أحرف وهي: الباء والجيم والفاء والقاف والكاف مما ليس في كلامهم وهي المخلوطة، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلىٰ أقربها مخرجًا، وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف.

ومن أمثلة هذا الإبدال المطرد: تحويل الكاف الفارسية إلىٰ جيم عربية أوقاف أو كاف، وتحويل الباء الفارسية إلىٰ باء عربية أو فاء، والهاء الصامتة في نهاية الكلمة الفارسية إلىٰ قاف في العربية.

الثاني: الإبدال غير المطرد

يأتي الإبدال غير المطرد في كل حرف من حروف العربية، كالإبدال بين الشين الفارسية والسين العربية، والخاء الفارسية والحاء العربية.

ويأتي هذا النوع في خمسة أحرف أيضًا وهي: الزاي والسين والشين والعين واللام. فإذا ظهر في الكلمة الأعجمية هذه الحروف العربية فإنها تُحَوَّل لصوت آخر للتقارب والتلاؤم بينهما[2].

(1) المعرب ص94. وينظر: شفاء الغليل ص27.

(2) ينظر حروف الإبدال بنوعيه في: المُعَرَّب ص94: 96، والمزهر 1/ 216، 374، وقصد السبيل 1/ 112. هذا بالإضافة إلىٰ تبادل الحركات بين الفارسية والعربية كتحويل الفتحة الفارسية إلىٰ كسرة في العربية، والألف إلىٰ ياء.